بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يسرُّ موقع ميراث الأنبياء أن يقدم لكم تسجيلًا لخطبة جمعة

ألقاها فضيلة الشيخ الدكتور

خالد بن ضحوي الظفيري

-حفظهُ اللهُ تعالى-

في مسجدِ السَعيدي بالجهراءِ بدولةِ الكويت، نَسألُ اللهَ- تَعالى- أَن يَنفع بِها الجميع.

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ وَنَعُوْذُ بِالله مِنْ شُرُوْرِ أَنْفُسِنا وَمِنْ سَيِّئاتِ أَعْمالَنا، مَنْ يَهْدِهِ الله فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُه، أَما بَعد:

فإن أصدق الحديث كلامُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمد- صلى الله عليه وسلم-، وشرَ الأمورِ محدثاتُها وكُلَّ مُحدثَةٍ بِدْعَة، وكُلَّ بِدعَةٍ ضَلالة، وكُلَّ ضَلالَةٍ في النّار.

عباد الله إنَّ الله-سبحانه وتعالى-قد عظَّم شان العلماء العالمين من عباده، ورفع منزلتهم في الدُّنيا والآخرة، يقول-سبحانه وتعالى-: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩]

وقال- عزَّ وجل-: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة: ١١] وشهد الله لهم بأنهم هم أهل الخشية والتقوى حقًا فقال: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر: ٢٨]

واستشهد بهم في كتابه على أعظم مشهودٍ وهو وحدانيته فقال: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨]

وأما ما جاء عن نبينا- صلى الله عليه وسلم- في بيان فضل العلماء العاملين الرَّبانيين الذين يُرشدون الناس للحق ويُحذرونهم من طُرق الضلال فأحاديثه كثيرة، من الأحاديث الجامعة الموضحة فضل العلماء غاية الإيضاح ما جاء عن أبي الدرداء –رضيَ اللهُ عنه- أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ

أَجْنِحَتَهَا رِضَاءً لِطَالِبِ الْعِلْمِ وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ »رواه أبو داود والترمذي.

فالعلم والتعلم أجره عظيم ومنزلهُ صاحبه رفيعةٌ في الدين، بل التعلم والرِّحلةُ لطلبه يُعدُّ من الجهاد في سبيل الله، فعن أنسٍ –رضي الله عنه –أنَّ النبيَّ –صلى الله عليه وسلم–قال: «مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ كَانَ فِي سَبِيلِ اللهِّ حَتَّى يَرْجِعَ» رواه الترمذي.

وعلامةُ حُبِّ الله للعبد وإرادة الخير له أن يُعلمه شرع الله فعن معاوية –رضي الله عنه–قال: قال النبيُّ–صلى الله عليه وسلم–: «مَنْ يُرِدْ اللهُّ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُّ فِي الدِّينِ» متفقٌ عليه.

وأهل العلم هم أهل النضارة والوضاءة في الدُّنيا والآخرة فعن ابن مسعود –رضي الله عنه–قال النبيُّ–صلى الله عليه وسلم–: « نَضَّرَ اللهُّ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ» رواه الترمذي.

ولما كان لأهل العلم الكبار أهل السُّنة والجماعة الرَّبانيين هذه المكانة العالية في ديننا الحنيف كان حقًا علينا أن نؤدي إليهم حقهم وأن نُنزلهم هذه المنزلة الرَّفيعة التي أنزلها الله ورسوله– صلى الله عليه وسلم– لهم فمن حقهم أن تُحفظ كرامتهم ويُرفع من شأنهم ويُلام مُنتقصهم،ويُحذر ممن يُطعن عليهم فلحوم العلماء مسمومة وعادة الله في مُنتقصهم معلومة، ولست أعني هنا إلا علماء أهل

السُّنة والجماعة،المشهود لهم بصدق التدين والقوة في العلم والسلامة في المنهج والمعتقد، وليس كل من قيل عنه عالمٌ كان ذلك حقًا، فكم من ضالٍ سوَّدهُ أتَّباعه، وكم من منحرفٍ شيَّخهُ مُريدوه.

يقول الطَّحاوي –رحمه الله تعالى –: وعلماءُ السلف من المتقدمين والمتأخرين أهل الحديث والأثر وأهل الفقه والنظر لا يُذكرون إلا بالجميل ومن ذكرهم بسوءٍ فهو على غير السبيل.

وللأسف تجدُ كثيرًا من الشباب لا يتورعون عن نبذ العلماء بألقاب السوء والطعن فيهم على الملإ وهذه هي عادة أهل البدع، كما يقول الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ –رحمه الله تعالى –: "ومن عادة أهل البدع إذا أفلسوا من الحُجَّة وضاقت بهم السُّبل تروَّحوا بعيب أهل السُّنة وذمهم ومدح أنفسهم وذلك لعلم أهل الضلال أنَّ الشباب والناس إذا انصرفوا لأهل العلم وأخذوا بأقوالهم وفتاويهم كُشفت أوراقُ أهل الضلال وتبين للناس انحرافهم".

يقول أبو عثمان النيسابوري –رحمه الله–: "وعلامةُ البدع على أهلها باديةٌ ظاهرة، وأظهرُ آياتهم وعلاماتهم شدَّةُ مُعاداتهم لحملة أخبار النبيِّ–صلى الله عليه وسلم–واحتقارهم، والاستخفاف بهم".

ويقول أبو حاتمٍ –رحمه الله–: "علامةُ أهل البدع الوقيعةُ في أهل الأثر".

ومن حقوق العلماء أيضًا أن يُحرص على تلقي العلم عنهم والسير على فتاويهم والالتفاف حولهم ولذلك أمر الله بسؤالهم فقال: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٧] وأمر بطاعتهم

وإرجاع الأمور إليهم فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ [النساء: ٥٩] والعلماءُ يدخلون في أولي الأمر،

وقال- عزَّ وجل-: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾[النساء: ٨٣] وهم أهلٌ لأن يؤخذ العلم عنهم لأنهم عدُّلٌ ثقات يقول- صلى الله عليه وسلم-: «يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْكُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالِ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلِ الْجَاهِلِينَ»

وإننا مع الأسف الشديد أيضًا في هذا الزمان، نرى أُناسًا خصوصًا من الشباب قد اعتزلوا العلماء الثِّقات من علماء أهل السُّنة والجماعة ونفروا منهم ونفَّروا عنهم وأخذوا يتعلمون على أيدي جُهَّل لا يُدركون من العلم شيئًا أو رُبَّما يتعلمون ويأخذون على أيدي أُناس لا يُعرفون بالثقة والأصالة في المعتقد والمنهج وربما يكونون ضُلالًا يُلقنونهم الضَّلالات والبدع من حيث لا يشعرون فيتلقفون الفتوى الجائرة الجاهلة التي تُبثُّ بالقنوات والمواقع ويبنون عليها دينهم وتصرفاتهم وهذا فيه خطورةٌ عظيمة على الدين وعلى المجتمع يقول ابن سيرين –رحمه الله-: "إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ ".

وجاء في حديث النبيِّ-صلى الله عليه وسلم-: «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُلْتَمَسَ الْعِلْمُ عِنْدَ الْأَصَاغِرِ» والأصاغر هم أهل البدع.

وقد حذَّر رسول الله-صلى الله عليه وسلم-من هؤلاء الذين يُضلون الناس بجهلهم وإحداثهم في دين الله ووصفهم بأنهم سُفهاء الأحلام حُدثاء الأسنان وجاء عنه-صلى الله عليه وسلم-في صحيح مسلم أنه قال: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أُنَاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ».

وقد حذَّر رسولنا-صلى الله عليه وسلم-من اتخاذ الجُهلاء رؤساء وعلماء وأهل إفتاء فالواجب على المتعلمين أن يرتبطوا بالعلماء الثقات المعروفين بالعلم وسلامة المعتقد فيتلقون عنهم العلم والدين، العلم النافع والصافي فيكونوا على بصيرة من دينهم وبيِّنة من ربهم وصلةٍ بنبيهم، وهذا كله يُبين فضائل العلماء علينا، أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرَّحيم.

الحمد لله والصَّلاة والسَّلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه أما بعد:

عباد الله، إنَّ علماء السُّنة لأهل الأرض بمثابة الشَّمس التي تكشف الظُّلمات وبمثابة النُّجوم التي يُهتدى بها في المتاهات لأنهم يميزون لهم الحقّ من الباطل والهدى من الضَّلال والعلم من الجهل فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه وكم من ضالٍ تائهٍ قد هدوه فما أعظم أثرهم على الناس إذ الخيرُ المُتعدِ المتعدد الذي اجتمع فيهم لا يكاد يجتمعُ في غيرهم،كنشر العلم والفُتيا والأمر بالمعروف

والنَّهيَ عن المنكر، وكشف المعضلات والرد على أهل الضلالات والنصح للراعي والرَّعية وغير ذلك من وجوه الخير، لذلك كلما علمنا بموت عالمٍ من علماء السُّنة عرفنا عظم المصيبة وخطر فقدهم على البلاد والعباد وفي هذا يقول ابن مسعودٍ والحسن البصريُّ –رحمهما الله تعالى –: "موتُ العالم ثُلمةٌ في الإسلام لا يسدها شيءٌ ما اختلف الليل والنهار"، وفسر ابن عباسٍ –رضي الله عنهما–وغيره قوله– تعالى–: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ ﴾[الرعد: ٤١]، بموت العلماء،لما في موتهم من النقص الكبير الذي يطرأ على أهل الأرض وموت العلماء عباد الله من علامات الفتن واقتراب الساعة خصوصًا مع قلتهم كما قال– صلى الله عليه وسلم–: «إِنَّ اللهَّ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ النَّاسِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمُ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ فَإِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا »

يقول ابن مسعود –رضي الله عنه–: "عليكم بالعلم قبل أن يُقبض، وقبضُه بذهاب أهله" وقيل لسعيد بن جُبيرٍ: "ما علامةُ الساعة وهلاك الناس؟ قال: إذا ذهب عُلماؤهم " ولـمَّا مات زيدُ بن ثابت –رضي الله عنه– قال ابن عباس –رضي الله عنهما –: "من سرَّه أن ينظر كيف ذهب العلم فهكذا ذهابه"، وفي لفظٍ عنه قال: "هكذا ذهابُ العلم لقد دُفن اليوم عِلمٌ كثير" .

وقال –رضي الله عنه –: "لا يزال عالمٌ يموت وأثرٌ للناس يُدرس حتى يكثُر أهل الجهل ويذهب أهل العلم فيعمل الناس بالجهل ويدينون بغير الحق ويضلون عن سواء السبيل".

عباد الله، بل ذهابُ العلماء من العقوبات على جهلنا وضعفِ تعلمنا واتباعنا كما قال سُفيان بن عُيينة –رحمه الله–: "وأيُّ عُقوبةٍ أشدُ على أهل الجهل على أن يذهب أهل العلم".

وفقدُ العلماء عباد الله ثُلمَةٌ عظيمة ومُصيبةٌ كبيرة لا يتأثرُ بها إلا من عرَف مكانتهم، ورأى آثار خيرهم ودعوتهم وردَّهم للضلالات والبدع والخُرافات.

روى ابن وضَّاحٍ عن ابن المبارك –رحمه الله – أنه قال: "اعلم أني أرى أنَّ الموت اليوم كرامةٌ لكل لمسلمٍ لقي الله على السُّنة، فإنا لله وإنا إليه راجعون وإلى الله نشكو وحشتنا وذهاب الإخوان وقلَّة الأعوان وظهور البدع وإلى الله نشكو عظيم ما حلَّ بهذه الأمة من ذهاب العلماء وأهل السُّنة وظهور البدع"، انتهى كلامه –رحمه الله–.

فكيف إذا نظر إلى حالنا وزماننا فنسأل الله أن يقينا شر الفتن، يقول ابن مسعود –رضي الله عنه – عند قول النبيِّ–صلى الله عليه وسلم–:«**لَيْسَ عَامٌ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ**»، قال: "لا أقول عامٌ أمطرُ من عام، ولا عامٌ أخصبُ من عام، ولا أميرٌ خيرٌ من أمير، ولكن ذهابُ خياركم وعلمائكم، ثم يحدثُ قومٌ يقيسون الأمور برأيهم فيُهدم الإسلام ويُثلم".

وعنه أيضًا أنه قال: "هل تدرون كيف ينقص الإسلام؟ قالوا: كما ينقص صبغ الثوب وكما ينقص سِمَن الدَّابة وكما يقسو الدرهم عند طول الـمُكثِ. قال: إن ذلك منه وأكثر من ذلك موت العلماء أو ذهاب العلماء".

وأهل السنة يستشعرون موت العالم كما قال أيوب السختياني –رحمه الله تعالى –: "إنه ليبلُغُني موت الرجل من أهل السُّنة فكأنما سقط عضو من أعضائي"،

يُبين العلامة ابن القيم –رحمه الله تعالى –خطورة فقدانهم بقوله: "لما كان صلاح الوجود بالعلماء ولولاهم كان الناسُ كالبهائم بل أسوأُ حالًا، كان موت العالم مصيبة لا يجبرها إلا خُلف غيره له، وأيضًا فيه إنَّ العلماء هم الذين يسوسون العباد والبلاد والممالك، فموتهم فسادٌ لنظام العالم؛ ولهذا لا يزال الله يغرسُ في هذا الدين منهم خالفًا، خالفًا عن سالف يحفظ بهم دينه وكتابه وعباده، وتأمل إذا كان في الوجود رجلٌ قد فاق العالم في الغنى والكرم وحاجتهم إلى ما عنده شديدة وهو مُحسنٌ إليهم بكل ممكن ثم مات وانقطعت عنهم تلك المادة، فموت العالم أعظمُ مصيبة من موت مثل هذا بكثير، ومثل هذا يموت بموته أممٌ وخلائق" انتهى كلامه –رحمه الله–.

فاحرصوا يا عباد الله وطلاب العلم على العلماء الباقين ففيهم الخير والبركة واجتهدوا في سدِّ هذا الثَّغر بالتَّعلم والاجتهاد فيه، فعن أبي الدرداء –رضي الله عنه – قال: "مَالِي أَرَى عُلَمَاءَكُمْ يَذْهَبُونَ، وَأَرَى جُهَّالَكُمْ لا يَتَعَلَّمُونَ؟ تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ، فَإِنَّ رَفْعَ الْعِلْمِ ذَهَابُ الْعُلَمَاءِ" وعزاؤنا عباد الله فيما أخبرنا عنه–صلى الله عليه وسلم–من بقاء أهل الحق وظهورهم كما في قوله–صلى الله عليه وسلم–: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ يَخْذُلُهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ »

فاللهم اغفر لمن مات من علمائنا، اللهم اغفر لمن مات من علمائنا وأسكنهم فسيح جناتك واجزهم يا ربنا عنا خيرًا وبارك ربنا فيمن بقي واحفظهم بحفظك واكلأهم برعايتك، اللهم إنا نسألك الثبات على الدين، يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، يا مُصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك، ربنا اغفر لنا ولوالدينا وللمؤمنين وللمؤمنات الأحياء منهم والأموات وصلى الله وسلم على نبينا محمَّد.

وللاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة والمزيد من الصوتيات يُرجى زيارة موقع ميراث الأنبياء على الرابط

www.miraath.net

وجزاكم الله خيرا.